الحجاج والإقناع في الخطاب الإيديولوجي

Pilgrims and persuasion in ideological discourse

محسن بالقسم

مؤسسة الإنتماء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة مولاي إسماعيل مكناس – المغرب

تاريخ إرسال المقال: 02-05-2022	تاريخ القبول: 07-05 -2022	تاريخ النشر: 01-06-2022

محسن بالقسم

ملخص:

يعد الخطاب من المفاهيم التي تستخدم في كل مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والتعليمية وغيرها... وعادة ما يأخذ الخطاب صفة تميزه عن أصناف الخطابات الأخرى، كالخطاب السياسي، والخطاب العلمي، والخطاب الأدبي والخطاب الأيديولوجي...، فأي خطاب كيفما كان نوعه أو صنفه لا يخلو من الحجاج والإقناع، فعصرنا هذا عصر الحجاج والإقناع والتأثير بامتياز، لاسيما مع تطور وسائل الإعلام، المتضمنة لفيض من الخطابات اليومية المتضاربة والمتعارضة في الأفكار، مما يجعل اللجوء إلى الخطاب الحجاجي والإقناعي شيء حتمي على كل خطاب، يضع بين أهدافه إقناع الآخر، واستقطاب أكبر عدد من المناصرين لخطابه، وبالتالي لإيديولجيته، فالخطاب إذا هو مجال واسع للحجاج والإقناع، والخطاب الإيديولوجي بدوره لا يخرج عن هذه القاعدة، فهو خطاب حجاجي وإقناعي بالدرجة الأولى، يهدف القائم به إلى الدفاع عن أطروحته الفكرية سواء كانت سياسية أو علمية أو مرتبطة بالمجتمع... وذلك باللجوء تارة إلى أدوات حجاجية منطقية، ترفع من مستوى المتلقي للخطاب، وتجعله غاية أو باللجوء إلى وسائل إقناعية توهيمية وذهنية، ومغالطات لغوية تلعب على الوتر الحساس لمن يتعرض لها، وفي ضوء هذه الأفكار ستتبلور مداخلتنا، حيث

بالقسم

سنقدمه عبر ثلاث محاور أساسية، سنتحدث في المحور الأول عن الشق المفاهيمي، حيث سنقف على تعريف مفهوم الخطاب وأنماطه وكذا معايير تصنيفه النسقية والسياقية وكونه فعل وإنجاز، ثم سنتطرق إلى مفهوم الإيديولوجية وعلاقته بالخطاب، لنقف كذلك على مفهومي الإقناع والحجاج كمفهومين محوريين في بحثنا، أما في المحور الثاني فسنحاول تقديم نظرة شاملة وعامة على نظريات الحجاج باعتباره خطابا، وبذلك سنقتصر على نظريتين فقط، ثم على وسائل الإقناع بشكل مبسط مرورا بالمنظومة التواصلية، التي يتحقق من خلالها عنصر الإقناع والاقتناع، ثم سنتطرق في المحور الثالث، إلى بعض الحجج في الخطاب الإيديولوجي، ثم إلى بعض المغالطات اللغوية كأداة من أدوات الإقناع، التي يمكن أن يلجأ إليها ملقي الخطاب.

من هنا يمكن أن نخلص إلى أن العلاقة بين الخطاب والإيديولوجية هي علاقة ترابط وتلازم، فالتوجهات الإيديولوجية لا يمكن تجسيدها إلا عبر وسائط لغوية، أي عن طريق الخطاب، إذ لا وجود لخطاب بدون إيديولوجية، ولا وجود لإيديولوجية بدون خطاب، وتبين لنا أن الخطاب الإيديولوجي يتضمن العديد من الحجج التي يمكن أن تحقق للقائم بها التأثير في الآخر وإقناعه، وكذا مجموعة من المغالطات اللغوية كوسيلة من وسائل الإقناع التوهيمي، التي تعمد على استدراج عطف المتلقي، وبالتالي توهيمه بجدوائية طرح إيديولوجي على غيره.

فالخطاب إذن، مجال واسع لممارسة الحجاج والإقناع، باعتبار أن الخطاب ليس إلا وسيلة في يد الحجاج، وبالتالي يمكن أن يمرر من خلاله مجموعة من الحجج العقلانية أو التوهيمية في سبيل إقناع الآخر، وعموما يمكن القول إن أي خطاب لا يخلو من نية مبيتة في إقناع الآخر واستمالته.

الكلمات المفتاحية: الحجاج ; الإقناع ; الأيديولوجيا ; الخطاب ; اللغة ; الكلام ; الإنتاج

Abstract:

بالقسم

Nous concluons que la relation entre discours et idéologie est une relation d'interrelation et d'interdépendance, car les tendances idéologiques ne peuvent être incarnées que par des moyens linguistiques, c'est-à-dire à travers le discours, car il n'y a pas de discours sans idéologie, et il n'y a pas d'idéologie sans discours, et il que le discours idéologique comprend de nombreux arguments selon lesquels il peut obtenir l'influence de l'autre et le persuader, ainsi qu'un ensemble d'erreurs linguistiques comme moyen de persuasion délirante, qui est basée sur l'attrait de la sympathie du destinataire, et donc l'illusion de la faisabilité d'une proposition idéologique sur les autres.

Le discours est donc un vaste champ pour la pratique des pèlerins et de la persuasion, étant donné que le discours n'est rien d'autre qu'un moyen entre les mains des pèlerins, et donc il est possible de faire passer par lui un ensemble d'arguments rationnels ou illusoires dans afin de persuader l'autre, et en général on peut dire que tout discours n'est pas sans une intention préméditée de persuader l'autre.

Keywords: Discours ; Idéologie ; Linguistiques

مقدمة:

يعد الخطاب من المفاهيم الشائعة التي تستخدم في كل مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والتعليمية وغيرها... و عادة ما يأخذ الخطاب صفة تميزه عن أصناف الخطابات الأخرى، كالخطاب السياسي، والخطاب العلمي، والخطاب الأدبي والخطاب الأيديولوجي... ومن المعلوم أن أي خطاب كيفما كان نوعه أو صنفه لا يخلو من الحجاج والإقناع، فعصرنا هذا عصر الحجاج والإقناع والتأثير بامتياز، سيما مع تطور وسائل الإعلام، المتضمنة لفيض من الخطابات اليومية المتضاربة والمتعارضة في الأفكار، مما يجعل اللجوء إلى الخطاب الحجاجي و الإقناعي شيء حتمي على كل خطاب، يضع بين أهدافه إقناع الآخر، واستقطاب أكبر عدد من المناصرين لخطابه، وبالتالي لإيديولجيته، فالخطاب إذا هو مجال واسع للحجاج والإقناع، والخطاب الإيديولوجي بدوره لا يخرج عن هذه القاعدة، فهو خطاب حجاجي وإقناعي بالدرجة الأولى، يهدف القائم به إلى الدفاع عن أطروحته الفكرية سواء كانت سياسية، أو علمية، أو مرتبطة بالمجتمع... وذلك باللجوء تارة إلى أدوات حجاجية منطقية، ترفع من مستوى المتلقي للخطاب، وتجعله غاية، أو باللجوء إلى وسائل إقناعية توهيمية وذهنية، ومغالطات لغوية تلعب على الوتر الحساس لمن يتعرض لها، وفي ضوء هذه الأفكار سيتبلور عرضنا، حيث سنقدمه عبر ثلاث محاور أساسية، سنتحدث في المحور الأول عن الشق المفاهيمي، حيث سنقف على تعريف مفهوم الخطاب، ثم سنتطرق إلى مفهوم الإيديولوجية وعلاقته بالخطاب، لنقف كذلك على مفهومي الإقناع والحجاج كمفهومين محوريين في بحثنا، أما في المحور الثاني فسنحاول تقديم نظرة شاملة وعامة علي نظريات الحجاج، وبذلك سنقتصر على نظريتين فقط، ثم على وسائل الإقناع بشكل مبسط مرورا بالمنظومة التواصلية، التي يتحقق

بالقسم

من خلالها عنصر الإقناع والاقتناع، ثم سنتطرق في المحور الثالث، إلى بعض الحجج في الخطاب الإيديولوجي، ثم إلى بعض المغالطات اللغوية كأداة من أدوات الإقناع، التي يمكن أن يلجأ إليها ملقي الخطاب.

المحور الأول: تعريف المفاهيم

1. في مفهوم الخطاب:

إن الخطاب كمفهوم متشعب استحوذ على اهتمام أغلب الدارسين والباحثين على حد سواء، حيث يصعب على المتتبع لهذه الدراسات أن يقف على تعريف شاف، وذلك راجع بالأساس لعدم استقرار رؤى الباحثين حول ماهيته، حيث يعتبر الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو" من بين أبرز الفلاسفة الذين قدموا نظرتهم حول مفهوم الخطاب، حيث عرف التشكيلة الخطابية في " المنظومة العبارية العامة التي تحكم مجموع الإنجازات اللفظية"[1] والتي استطاع من خلالها إعطاء تعريف كامل للخطاب "سندعو خطابا مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي لذات التشكيلة الخطابية"[2].

وبعيدا عن طرح "فوكو" للخطاب، فقد ذهب مجموعة من الباحثين إلي ربطه بمصطلحات عديدة من قبيل الكلام، الملفوظ، اللغة، النص، المنطق...، فقد ذهب "فيرديناند دي سوسير" إلي وضع تفرقته الجوهرية بين اللسان langue والكلام parole، حيث اعتبر "اللغة جزءا جوهريا من اللسان، وهي في الوقت ذاته نتاج اجتماعي لملكة اللسان... أما الكلام فهو نتاج فرد يصدر عن وعي وإرادة"[3] وهو بهذا يضع الكلام في وضعية متساوية مع الخطاب، وبعيدا عن هذا الاتجاه الذي يميز بين اللغة والخطاب فقد تناول "ايميل بنفست" الخطاب باعتباره "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير علي الثاني بطريقة ما"[4]، ولعل ما يميز تعريف هذا الأخير هو تركيزه علي القصدية المتمثلة في التأثير على الآخر انطلاقا من الملفوظ.

وممن ربط الخطاب بالعقل والمنطق نجد "محمد الجابري" حيث يعتبر الخطاب "بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالي، أي بشكل مقدمات ونتائج

---

[1]–ميشيل فوكو،حفريات المعرفة، سالم يفوت، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1978، ص: 76

[2]– المرجع نفسه، ص: 107

[3]– يعقيل كمال، دراما الاتصال في الخطاب السياسي الفيلمي، دراسة جامعية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2011، ص:17

[4]– نزهت محمود نقل، طبيعة العلاقة بين الخطاب الدعائي والخطاب السياسي، كلية الاعلام، جامعة بغداد، العدد 4، ص:6

... يعكس قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد ... بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمة الإخبار والإقناع"[5]

ويمكن أن نتفق مع ما ذهب إليه "الجابري" في هذا التعريف، لأنه أحاط بمفهوم الخطاب من حيث هو بناء من الأفكار التي يتخذها صاحبه في شكل منطقي، أي انطلاقا من مقدمات إلى نتائج تعكس قصديته المتمثلة في إقناع الآخر.

2. في مفهوم الإيديولوجية:

المعلوم أن الغاية من هذا العرض هو تقديم لمحة عن مفهوم الخطاب الإيديولوجي، إلا أن عدم توفرنا للمراجع الكفيلة بذلك، سنستغل تحليل مفهوم الإيديولوجية وعلاقتة بالخطاب، كعملية يمكن أن نستنبط منها تعريفا شاف للخطاب الإيديولوجي.

يعتبر "انطوان ديستوت دي تريسي" antoine destote de tracy أول من أرسى مصطلح الإيديولوجية بفرنسا، وكان يعني على المستوى اللغوي "علم الأفكار"[6]، وبذلك فمصطلح الإيديولوجية "مقابلا للعلم الذي يدرس الأفكار دراسة علمية بحثة باتباع قوانين علمية مظبوطة، تنطلق من الملاحظة والتجربة لتصل إلى نتيجة محددة "[7]، فانطلاقا من تعريف تريسي للإيديولوجية، فهي عملية دراسة الأفكار باتباع منهج علمي دقيق للوصول إلى نتيجة.، "فالإيديولوجيون انطلقوا من الأفكار الواقعية لاستخلاص مادة التحليل اعتمادا على عملية منهجية علمية وتجريبية، بعيدا عن عالم الغيبيات الذي من شأنه أن يجانب الواقع في منطلقاته، وبالتالي الإبتعاد عن الأفكار الفلسفة المثالية والأحكام المسبقة التي تقدم نفسها في قالب جاهز، وبالتالي فهي دعوة إلى تحرير العقول"[8].

---

[5]- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، ص: 11

[6]- أعموري سعيد الأيديولوجيا/ الخطاب/ النص، نحو مقاربة مفاهيمية، جامعة عبد الرحمان ميرة بجابة، الجزائر، العدد 18، 2013، ص: 2

[7]-المرجع نفسه، ص: 2

[8]-المرجع نفسه، ص: 3

و"قد كان مصطلح الإيديولوجية خاصة أثناء الثورة الفرنسية، يؤخذ بشكل تحقيري تهكمي، ويطلق على أصحاب الفكر البعيد عن الحقيقة".

أما عبد الله العروي في كتابه "مفهوم الإيديولوجيا" فقد اقترح وزنا عربيا لمصطلح الإيديولوجية، مثله في أدلوجة على وزن أفعولة، " فنقول أن الحزب الفلاني يحمل أدلوجة ونعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد، يكتسي هذا الحكم في استعمالنا الحالي صيغة إيجابية، لأن الحزب الذي لا يملك أدلوجة هو في نظرنا حزب انتهازي، ظرفي ، لا يهمه سوى استغلال النفوذ والسلطة"[9].

قد نظر "العروي" إلى مفهوم الإيديولوجية أو في ما سماه بالأدلوجة كمفهوم يرى الأشياء طبقا لدعواه، يتقابل مع مفهوم الحق الذي يرى الأشياء طبقا لذاتها فقط، كما في النظرية الماركسية، "فنقول مثلا إن فلانا ينظر إلى الأشياء نظرة أدلوجية، نعني أنه يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائما لما يعتقد أنه الحق "[10].

ويمكن ذكر أهم استعمالين لمفهوم الإيديولوجية أو الأدلوجة كما أشار إليهما عبد الله العروي في ما يلي:

- في ميدان المناظرة السياسية، حيث تكتسي طابعا سلبيا أو إيجابيا حسب مستخدمها،الذي يعتبر أدلوجته رمزا للوفاء والتضحية والتسامي، وينظر إلى أدلوجة الخصم كأدلوجات حقيرة لئيمة.
- أما الإستعمال الثاني فيرتبط بالمجتمع، وذلك لأننا ندرك المجتمع ككل، يتفق جميع أعضائه في الولاء لقيم مشتركة، ويستعملون منطلقا واحدا.

فمن خلال ما سبق يمكننا الوقوف على العلاقة بين الخطاب والإيديولوجية ، حيث أن العلاقة بينهما هي علاقة جدلية، فالإيديولوجية لا تتجسد إلا عبر ماديات لغوية، عن طريق صور وأشكال مختلفة، أي عن طريق خطابات أو نصوص-كوسائل اتصالية- ف " الشكل اللغوي لا يمتلك دلالة بمعزل عن غيره، وبالتالي لا يمتلك أي وظيفة إيديولوجية، بمعنى أن الخطابات- إذ تقوم على العبارة وتحقق التواصل من

[9]- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، منتديات الوحدة العربية،الدار البيضاء،ط5، 1993، ص:9

[10]- المرجع نفسه، ص: 12

خلال انتقالها عبر اتجاهات المخاطبة- تعبر عن وجهة نظر تستلزم التأثير والتأثر بالاعتماد على مبدأ التعارض، وهو المبدأ الذي تقوم عليه الخطابات أساسا، الأمر الذي يفسر تمام اختلاف الخطابات عبر المؤسسات الاجتماعية" ويفسر كذلك تعالقها الضروري عبر مبدأ التعارض والصراع الدائم"[11] وبالتالي لا يمكن أن نتحدث عن خطاب بدون إيديولوجية ولا عن إيديولوجية بدون خطاب يبلورها ويعبر عنها، ويدخل في علاقة تأثير – مباشر وغير مباشر- مع خطابات أخرى، وبالتالي في علاقة تصادم إيديولوجي.

أخيرا يمكن القول –حسب رأينا- أن الخطاب الإيديولوجي هو خطاب يحمل لإيديولوجية معينة، يعتبرها صائبة وملازمة له ومطابقة للواقع، في حين يرى في إيديولوجية الآخر، إيديولوجية تنتفي لقاعدة الصواب، ويحاول بأقصى ما يمكنه الأثير في الآخر وحشد أكبر عدد ممكن من المناصرين له، عبر حجج وطرق إقناعية، تعمل على تعزيز فكره.

3. *في مفهوم الإقناع*:

يعد مفهوم الإقناع من المفاهيم الأساسية في حقل الخطاب، فمن المعلوم أن أي خطاب كيف ما كان نوعه، لا يخلو من نية صاحبه المتمثلة في إقناع الآخر وحثه على قبول رأيه، وفي هذا يرى "محمد عبد الرحمان عسيوي" في أن الإقناع "آلية رئيسية لتكوين الآراء والمواقف"[12].

وفي نفس الصدد يرى "والس" في الإقناع أنه" تأثير المصدر في المستقبلين بطريقة مناسبة ومساعدة على تحقيق الأهداف المرغوبة فيها، عن طريق عملية معينة، أي تكون الرسائل محددة لهذا التأثير".

وما يميز تعريف "والاس" للإقناع للتعريف الذي سبق ذكره هو تركيزه على الرسالة والطريقة التي تقال بها، لقدرتها على تحيق رغبة فاعل الإقناع في التأثير.

أما "توماس شايدل" فيربط الإقناع بقصدية ووعي منتج الإقناع، بهدف التأثير في السلوك، ويقول في الإقناع أنه "محاولة واعية للتأثير في السلوك".

---

[11]- أعموري سعيد الأيديولوجيا/ الخطاب/ النص، نحو مقاربة مفاهيمية،مرجع سابق، ص: 12

[12]- مهى محمود ابراهيم العتوم،تحليل الخطاب في النفد العربي الحديث، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004، ص:76

وبذلك يمكن اعتبار الإقناع "عملية إيصال الأفكار والاتجاهات والقيم والمعلومات، إما إيحاءا أو تصريحا عير مراحل معينة، وفي ظل حضور شروط موضوعية وذاتية مساعدة، وكل هذا عن طريق الاتصال".

وتجدر الاشارة إلي أن مفهومي الإقناع يتداخل ومفهومي الإيحاء والتأثير، حيث يعني هذا الأخير "إرادة وفعل لتغيير السلوك والاعتقادات أو الآراء، أو على الأقل تعديلها أو ترسيخ قيم وأفكار جديدة".

أما الإيحاء فهو "الذي يشير إلى التأثير غير المباشر في سلوك الآخرين عن طريق النفوذ النفسي والقدرات السيكولوجية للمقنع"، ويرى كل من "ولبر شرام"و "دونالد روبرت" أن الإقناع " عملية اتصال تتضمن بعض المعلومات التي تؤدي بالمستقبل إلى إعادة تقييم إدراكه لمحيطه، أو النظر في حاجاته وطرق التقائها أو علاقته الاجتماعية أو معتقداته أو اتجاهاته"[13].

مما سبق ذكره فالإقناع، لا يمكن أن يتأتى إلا في حضور العزم لدى المخاطب في إقناع الآخر أو المتلقي عبر الرسالة، وما تتضمنه من معلومات وقيم وأفكار ومعتقدات يؤمن بها، ويعتبرها صائبة لتحقيق الاقتناع لدى الآخر، عن طريق الحجاج كوسيلة من وسائل الإقناع، فما هو إذا مفهوم الحجاج؟

4. *في مفهوم الحجاج*:

يعتبر الحجاج من المفاهيم التي طبعت وما زالت تطبع حياتنا اليومية، ولقد لقي الحجاج اهتماما متزايدا من طرف الباحثين، نظرا لارتباطه بجميع أنماط الخطاب، وسنقتصر من خلال هذا المحور على بعض التعاريف المقدمة لمفهوم الحجاج، حيث عرفه كل من " برلمان و وتيتيكا" بأنه "دراسة تقنيات الخطاب التي تقود الأذهان إلى أن تسلم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد درجةّ لك التسليم". فانطلاقا من هذا التعريف فالحجاج غايته مخاطبة الأذهان من خلال الأطروحات المقدمة لتحقيق التأثير والإقناع المرجوين.

أما " العزاوي" فبعرف الحجاج في كونه "إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها"، ولعل هذا ما سبق أن قدمه كل من "دوكرو" و "اونسكمبر" لحجاج كأن يقدم المتكلم قول أ موجها إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر وهو قول ب، وبذلك يكون نتيجة له إما بشكل صريح أو مضمر، أي أن هناك ترابط وتسلسل بين الأقوال في الخطاب تحكمه قيودا

[13]- المرجع نفسه، ص: 76- 78

لغوية. وفي نفس السياق ذكر "دوكرو" إلى التركيز على الجانب اللغوي في الخطاب كوسيلة يتحقق بها الحجاج " حيث يرى أن الحجاج يكمن في بنية اللغة ذاتها لا في المحتوى الخبري للأقوال ولا في المعطيات الخبرية، ومعنى ذلك أن الحجاج يستمد تقنياته الخطابية من بنية التراكيب ذاتها،فيصبح الخطاب بذلك وسيلة للحجاج.

إلا أن الحجاج يتضح أكثر مع ما ذهب إليه " آلرون"، حيث عرفه "إجراء يسعى من خلاله شخص ما ومجموعة ما إلى استدراج السامع إلى تبني موقف ما، وذلك باللجوء إلى عروض أو إثبات حجج تهدف إلى تبيان صحته". وما يميز هذا التعريف في نظرنا هو ذكره للعناصر الواجب توفره في الحجاج من شخص أو مجموعة أشخاص ومستمع، وتركيزه كذلك على القصدية المتمثلة في استمالة السامع للقبول، عن طريق العناصر العقلية والمنطقية، فهو إذا تعريف يركز على البنية الفكرية بالأساس.

فمن خلال ما سبق ذكره فالمخاطَب أو الآخر هو بيت القصيد من كل فعل حجاجي، وهذا ما جعل كراي " لا يرى في المخاطب موضوعا للمناورة فقط، وإنما يرى فيه الآنا الآخر الذي ينبغي أن يتقاسم معه رؤية مشتركة".

ويعرف "بلوتين" الحجاج في كونه العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"، ومعنى ذلك أن اللغة أو الوسيلة اللغوية كفيلة بتغيير المعتقدات وتصورات المخاطب"، الذي يطمح إلى تحقيقها منتج أو فاعل الخطاب.

خلاصة القول فالحجاج حسب رأينا لا يتأتى إلا بوجود البنية اللغوية التي تهدف على استمالة وإقناع المتلقي، فاللغة هي الوسيلة ذاتها التي يتحقق بها الإقناع، وبذلك فالخطاب هو وسيلة للحجاج وليس الحجاج وسيلة للخطاب، وأصناف الخطاب ما هي إلا صنف أو أصناف للخطاب الحجاجي، حيث أن الخطاب السياسي مثلا ما هو إلا خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، وينطبق ذلك على الخطاب الإعلامي والإشهاري والإيديولوجي وقس على ذلك.

المحور الثاني: وسائل الإقناع في الخطاب ونظريات الحجاج

1. وسائل الإقناع في الخطاب:

إن الكشف عن الإستراتيجية التي يتكئ عليها فعل الإقناع في أي صنف من أصناف الخطاب، رهين أولا بالكشف عن المنظومة الاتصالية التي يتحرك داخلها، وتتحقق بين ثناياها عناصر الإقناع والاقتناع، وذلك عبر العلاقات التي تعبر عنها جملة المقولات الأساسية:

- "مرسل / الرسالة – علاقة إقناع
- متلقي / رسالة – علاقة تلقي
- مرسل / متلقي – علاقة تأثير وتأثر"[14]

ولكي يتحقق فعل الإقناع والاقتناع في أي خطاب، فإنه لا بد من المرور عبر مراحل متوالية تأخذ هذا الشكل من الترتيب[15]:

- نية الإقناع: فنية الإقناع أو العزم على الإقناع يتولد عند مرسل الخطاب قبل إنجاز الرسالة، ويمكن اعتبارها الحافز الأول على إنجازها، لذلك يعمد المرسل على صياغة الرسالة في إطار سنن تشكله مجموعة قواعد وتواضعات لغوية أو غير لغوية مشتركة بينه وبين المرسل إليه.
- نية التلقي: وذلك عبر استعداد المتلقي لاستقبال الرسالة كالتركيز أثناء الاستماع أو القراءة كتعبير عن قدرته علي فك شفرة الرسالة.
- فعل الإقناع وذلك عبر إنجاز الرسالة كاملة.
- فعل التلقي: وذلك عبر التعرض للرسالة كاملة دون تشويش أو انقطاعات تعوق المجرى التواصلي، وأثناء تعرض المستقبل للرسالة يتولد لديه سلوكا معنيا يأخذ ثلاثة احتمالات:

أ- قد يستجيب المتلقي لرغبة المرسل وبالتالي احتواء مرسل الرسالة للمتلقي.

ب- إحباط المتلقي لمرسل الرسالة، كونها خيبت أفق توقعه وبالتالي رفضها.

[14]- عبد الإله بوحمالة، آليات اشتغال الخطاب السياسي الحزبي في المغرب، رسالة ماجستير، علوم الإعلام والاتصال، المغرب، 2001، ص: 38

[15]-المرجع نفسه، ص: 39

ت- تأثير المتلقي على مرسل الرسالة، إلا أن هذه الحالة تظل مستبعدة.

فمن خلال هذه المنظومة يتضح لنا أنه لا يمكن أن تستقيم عناصر الإقناع والاقتناع في غياب أحد أطراف الاتصال، بل في غياب العزم لديهم سواء العزم في الإقناع أو في استقبال الرسالة، كما لا يمكن أن يتحقق عنصر الإقناع في غياب أدوات ووسائل الإقناع، التي تتمثل في الإقناع العقلاني، والإقناع التوهيمي:

1) "الإقناع العقلاني: يتحقق حينما يقدم المرسل معلومات صحيحة إلي المتلقي تمكنه من الوصول إلى فهم للموقف بحقيقته كما هو.

2) الإقناع التوهيمي أو الخداعي: ويتحقق حينما يسعى الطرف الأول إلي إقناع الطرف الثاني بتصرف ما، ليس عن طريق تزويده بالفهم الصحيح للبدائل المبنية على المعلومات، ولكن عن طريق تشويه فهمه، كأن يشوه أو يزيف أو يسقط عن عمد بعض جوانب الحقيقة التي يعرفها الطرف الأول والتي إذا عرفها الطرف الثاني كانت مؤثرة تأثيرا جذريا على قراره."

2. *نظريات الحجاج*:

إن نظريات الحجاج كثيرة، وسنقتصر فقط علي نظريتين تتمثلا في نظرية الحجاج الجدلي، ونظرية الحجاج اللغوي.

أ- نظرية الحجاج الجدلي: تقوم هذه النظرية بشكل أساس على الجدل أو المحاورة أو استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع ما، فالجدل هو تبادل الحجج والأفكار ووجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة، أو هو الجدال بين طرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة،

عن طريق المنطق أو الاستدلال، وتنبني هذه النظرية على الأطروحة (thèse) والنقيض (antithèse) والتركيب (synthèse).

ويمكن القول بأن الحجاج الجدلي هو الأقدم في تاريخ الإنسانية، الذي تتعارض فيه المصطلحات المتناقضة، كالهداية والضلال، الحق والباطل، ويمكن التمييز بين الجدال الحسن، الذي اتصف به الأنبياء والرسل، وبين الجدال السلبي أو الذي يكمن في المعارضة من أجل المعارضة، أو الخلاف من أجل الخلاف، ولا يراد به إلا الضلال والنقاش العقيم.

ب- نظرية الحجاج اللغوي: تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني التي وضعها كل من "انسكومبر و اوزوالد ديكرو" إلي دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة، ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير". ومعنى ذلك فإن للغة وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقول ذاتها، صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا. ومن تم فإن هذه النظرية تهتم بالقواعد الداخلية للخطاب المتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل تدريجي.

فهذه النظرية وظيفتها الأساسية ليست هي الوظيفة التواصلية الإخبارية، بل هي الوظيفة الحجاجية، ويعني هذا أن الوظيفة التواصلية؛ وظيفة ثانوية ليس إلا، فنظرية "ديكرو" هي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية ورصد تأثيرها التداولي على المستمع.

ولكي نوضح ما قلناه سابقا، نقدم المثال التالي: "المغاربة أفارقة، محمد افريقي،إذا محمد مغربي"، فهذا برهان أو قياس منطقي حتمي وضروري، أما إذا قلنا انخفظت درجة البرودة، إذا سيمرض محمد فهذا حجاج أو استدلال طبيعي غير برهاني، يحمل استنتاجا احتماليا، فمن

خلال هذين المثالين،يتضح لنا أن اللغة الإنسانية لغة حجاجية ومنطقية من داخل بنيتها اللغوية الداخلية.

وتتكون الجملة الحجاجية، حسب "دوكرو" من حجة أو دليل ونتيجة، كمل في المثال الآتي: " أنت مرهق، إذا، فأنت في حاجة إلى الراحة، ففي هذا المثال يمكن اعتبار "أنت مرهق حجة أو دليل" "وأنت في حاجة إلى الراحة النتيجة"، ومايدل على الطبيعة الحجاجية هو وجود الرابط الحجاجي (إذا)، وقد يكون الرابط ظاهرا أو مضمرا كما في هذه الحالة "أنت مرهق إذا فأنت بحاجة إلى الراحة.

وتسمى العلاقة التي تجمع بين الحجة والنتيجة حسب ديكرو " العلاقة الحجاجية".

ويمكن ذكر بعض الروابط الحجاجية مثل : إذا ، لام التعليل، لا سيما ، كي ، لأن... .

المحور الثالث: الحجج والمغالطات في الخطاب الأيديولوجي

1. الحجج في الخطاب الإيديولوجي:

من المعلوم أن كل إيديولوجيا تصر على أن يكون خطابه متميزا، وبذلك تجنح في كثير من الحالات إلى خطاب إيديولوجي قائم على أدوات التأثير غير استدلالية ومؤثرات ذهنية تلعب على الوتر الحساس لمن يتعرض لها، وبالإضافة إلى مجموعة من المغالطات اللغوية والحجج، ومن بين الحجج التي تعتمد عليها الإيديولوجية من خلال الخطاب هي كالآتي :

- حجة الالتجاء إلى الشفقة: حينما يستدر المرسل عطف وشفقة المتلقي ويستغل حالته العاطفية، ويجعله يتقبل أفكارا قد لا يتقبلها في حالات يقظته العقلية.

بالقسم

- حجة الالتجاء إلى الجهل: حينما تعمد الإيديولوجية إلى البرهنة على صلاحيتها انطلاقا من جهل خصومها وعدم قدرته على إثبات زيفها وعدم صحتها.
- حجة التجريح حول الالتجاء إلى الإنسان: حينما يتم التشكيك في منظومة إيديولوجية ما بالطعن في أصحابها أو رموزها أو حينما يحصل العكس أي تزكية تلك المنظومة بناءا على صدق ومصداقية صاحبها.
- حجة الالتجاء إلى ظروف الإنسان: استغلال الظروف الخاصة للمخاطب لإقناعه بجدوائية طرح إيديولوجي معين أو لتفنيد طرح آخر.
- حجة الجمهور: أي استمالة الجمهور والاتكال عليه في عملية المصادقة أو الموافقة على خطاب إيديولوجي، واعتبار هذه الأيديولوجية بمثابة حجة أو دليل يعوض افتقار الخطاب الأيديولوجي فعليا لأي برهان.
- حجة الالتجاء إلى الشخص الثقة (أو المرجع): أي البرهنة من خلال الإحالة على مرجعية فاضلة أو الاستشهاد بشخصية ثقة تعود الناس على عدم مراجعة كلامها أو الشك فيه.
- حجة الإلتجاء إلى تجاهل ما يطلب التدليل عليه: التركيز على ما هو جانبي عند البرهنة لإثبات أو نفي أو عقيدة بكاملها[16].

2. المغالطات اللغوية في الخطاب الإيديولوجي:

إضافة إلى الحجج التي تعتمدها الإيديولوجية وتمررها عبر الخطاب، فهناك تطويع أو مناورة بواسطة اللغة من خلال مجموع(ة من المغالطات يمكن حصرها كالآتي:

[16] عبد الإله بوحمالة، آليات اشتغال الخطاب السياسي الحزبي في المغرب، عن كتاب محمد سبيلا (الإيديولوجية نحو نظرة تكاملية) ص: 36

بالقسم

- مغالطات الاشتراك: اعتماد لغة الإيديولوجية على ألفاظ ذات معاني متعددة تضمن تنشيط مجال الالتباس والغموض وتعطيل أي تجاوب عقلاني ممكن مع محتوى تلك الإيديولوجيا.
- مغالطات الالتباس: أي تداخل المعاني والتباسها وعدم وضوح القصدية في اشتغال الإحالة ودلالة الضمائر.
- مغالطات التأكيد: وتكون بترديد وتكرار دوال معينة وكلمات مفاتيح خاصة بحقل إيديولوجي دون غيره، أو التأكيد بواسطة أدوات وحروف التوكيد المعروفة في اللغة أو بواسطة الشكل الخطي المكتوب (الحروف البارزة أو المائلة مثلا).
- الإستعمال البرهاني للبيان: استعمال المحسنات البديعية والبيانية والتقنيات الشعرية كالوزن والقافية والموسيقى والمستوى الصوتي مما بدخل في مجال الأدوات الإقناعية المرتبطة بالبلاغة.

بالقسم

خاتمة:

من خلال ما سبق ذكره، نستنتج أن العلاقة بين الخطاب والإيديولوجية هي علاقة ترابط وتلازم، فالتوجهات الإيديولوجية لا يمكن تجسيدها إلا عبر وسائط لغوية، أي عن طريق الخطاب، إذ لا وجود لخطاب بدون إيديولوجية، ولا وجود لإيديولوجية بدون خطاب، وقد تبين لنا مما سبق بأن الخطاب الإيديولوجي يتضمن العديد من الحجج التي يمكن أن تحقق للقائم بها التأثير في الآخر وإقناعه، وكذا مجموعة من المغالطات اللغوية كوسيلة من وسائل الإقناع التوهيمي، التي تعمد على استدراج عطف المتلقي، وبالتالي توهيمه بجدوائية طرح إيديولوجي على غيره.

فالخطاب إذا مجال واسع لممارسة الحجاج والإقناع، باعتبار أن الخطاب ليس إلا وسيلة في يد الحجاج، وبالتالي يمكن أن يمرر من خلاله مجموعة من الحجج العقلانية أو التوهيمية في سبيل إقناع الآخر.

وعموما يمكن القول أن أي خطاب لا يخلو من نية مبيتة في إقناع الآخر واستمالته.

بالقسم

لائحة المراجع:

- أعموري سعيد الأيديولوجيا/ الخطاب/ النص، نحو مقاربة مفاهيمية، جامعة عبد الرحمان ميرة بجابة، الجزائر، العدد18،2013.
- ربيعة العربي، بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير،الحوار التمدن،العدد 4046،2013
- عبد الإله بوحمالة، آليات اشتغال الخطاب السياسي الحزبي في المغرب، رسالة ماجستير، علوم الإعلام والاتصال، المغرب، 2001
- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، منتديات الوحدة العربية،الدار البيضاء،ط5، 1993
- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، ط بدون.
- مهى محمود إبراهيم العتوم، تحليل الخطاب في النفد العربي الحديث، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004.
- ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، سالم يفوت، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط 2، 1976
- نزهت محمود نقل، طبيعة العلاقة بين الخطاب الدعائي والخطاب السياسي، كلية الاعلام، جامعة بغداد، العدد 4،
- يعقيل كمال، دراما الاتصال في الخطاب السياسي الفيلمي، دراسة جامعية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران 2011.